



قوائم المحتويات متاحة على ASJP المنصة الجزائرية للمجلات العلمية
الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية
الصفحة الرئيسية للمجلة: www.asjp.cerist.dz/en/PresentationRevue/552



التأملات في الفلسفة الأولى بين ديكارت وهوسرل

Meditations on First Philosophy between Descartes and Husserl

حليمّة عطّاء الله¹، أ.د. مبروك طحطاح²

¹ جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر)، مخبر الأنشطة البدنية والرياضية في الجزائر.

² جامعة زيان عاشور الجلفة (الجزائر).

Key words:

cogito

Epoché

Phenomenology

Transcendentalism

Husserl

Descartes.

Abstract

A comprehensive and absolute philosophy for all knowledge and truth must be established through the liberation of prior judgments and an orientation towards the absolute self through meditations, much like Descartes and Husserl did. put it into practice, a necessary starting point that cannot be doubted must be created, discovering a technique for devising a system of issues that can be raised without raising unanswerable questions. As such, our goal in this study is to illustrate the interrelationship between the meditations of Descartes and Husserl, the latter of whom regarded phenomenology as a "first philosophy" and a complete discipline that was derived from Descartes' meditations. Husserl borrowed Descartes' method for a thorough reform of philosophical thinking. Thus, the study centered on the new perspectives that Husserl presented in his meditations, as he managed to go beyond Descartes. To answer this question, we applied an analytical and comparative methodology to address this topic and reveal the philosophy and method of both Descartes and Husserl, and the essential similarities and differences between them, particularly in their early meditations. One of the most important conclusions that we reached is that Husserl could transcend Descartes in most of the metaphysical meditations - those that are contradictory to the intended meaning of consciousness - in which he derived the spirit of his methodology from him.

ملخص

معلومات المقال

تاريخ المقال:

الإرسال: 2023-08-27

القبول: 2024-02-22

الكلمات المفتاحية:

الكوجيتو.

الايبوخية.

الفنومولوجيا.

الترنسندنالية.

هوسرل.

ديكارت.

لتأسيس فلسفة شاملة مطلقة بالنسبة لكل معرفة وحقيقة، يجب التحرر من الأحكام المسبقة و الاتجاه إلى الذات المطلقة عن طريق التأملات، كما فعل ديكارت وهوسرل، ولتحقيقها عمليا لابد من إبداع نقطة إنطلاق ضرورية ولا يمكن الشك فيها، وإكتشاف منهج لتشكيل منظومة من المسائل التي يمكن طرحها بدون الوقوع في الإستحالة. وعليه فإننا نهدف من خلال هذه الدراسة إلى إبراز العلاقة بين تأملات ديكارت وهوسرل، هذا الأخير الذي يرى في الفينومولوجيا المتعالية "فلسفة أولى" وعلماء كلياً، انطلاقاً من تأملات ديكارت التي كانت بمثابة الركيزة التي استخدمها لبناء فلسفته، فاستلهم من ديكارت المنهج للإصلاح الجذري للتفكير الفلسفي. لذلك فقد تركزت الدراسة حول الجديد الذي أضافه هوسرل في تأملاته بما أنه استطاع تجاوز ديكارت، وقد استعملنا في الإجابة على هذا الطرح المنهج التحليلي والمقارن لكشف فلسفة ومنهج كل من ديكارت وهوسرل وأهم نقاط التشابه والاختلاف بينهما خاصة في التأملات الأولى. ومن أهم النتائج المتوصل إليها، أن هوسرل استطاع تجاوز ديكارت في معظم التأملات الميتافيزيقية وأخذ منه روح المنهج.

1. مقدمة

الفلسفة المتعالية، أو كما تدعى ديكرتية جديدة على وجه التقريب، إن اختيار موضوع تأملات في الفلسفة الأولى محاولة لاستخراج الصفات المميزة التي تتصف بها ضروب التحول وأنواع التجديد، التي أدت إلى ميلاد المنهج المتعالي الذي يعلق كل المعارف من أجل الوصول إلى الإنسية المتعالية التي بدورها تدرك مدلولات الأشياء عن طريق حدس الماهيات دون اللجوء إلى التجربة. (هوسرل)، تأملات ديكرتية أو المدخل إلى الفينومينولوجيا، 1958، صفحة 42)

إن الغاية الأساسية من الأفكار الواردة "في التأملات" هي عزم ديكرت لأول إصلاح جذري للفلسفة شهده التاريخ لجعلها علم كلي مطلق تندرج باقي العلوم في سياقه الاستنباطي، ففكرة إصلاح الفلسفة عند ديكرت تتضمن بالضرورة إصلاح كل العلوم إذ أن هذه العلوم في نظره أعضاء علم كلي واحد ولا يمكنها أن تصبح علوماً حقيقية إلا بالوحدة التنظيمية للفلسفة، ويتم ذلك بمحاولة ديكرت الرجوع إلى ذاتية الإنسان ليؤسس فيها وعليها بناء المعرفة. (خوري، 1984، صفحة 202)

إذ يجب على كل من يريد أن يصبح فيلسوفاً أن يبحث في ذاته، أي أن يقلب في داخل نفسه جميع العلوم وإعادة بنائها فالفلسفة عمل شخصي من أعمال الفيلسوف، فسعيه دائم إلى ماهو كلي ومن واجبه تبريرها من مصدرها وذلك باعتماده على حدوسه المطلقة للتوسع الفكري، وهنا يطرح السؤال نفسه عن السبيل لإيجاد منهج لإتباعه للوصول للعلم الحقيقي ماهو المنهج الذي اعتمد عليه ديكرت في تأملاته وماهي أسسه؟

2. 1. أسس المنهج الديكرتي

اهتدى ديكرت إلى المنهج الرياضي واعتبره أساساً لجميع العلوم، فالعلوم الرياضية يقين لا نزاع فيه، ويكمن يقينها في بدهية المعاني التي تصطنعها، ومن الترتيب الذي يجري عليه تسلسل هذه المعاني. وهذه البدهية وهذا الترتيب إنما يصل إليهما الذهن بأساسين اثنين: هما الحدس والاستنتاج.

فالحدس عند ديكرت عمل عقلي يدرك به الذهن حقيقة من الحقائق، "يفهمها بتمامها في زمان واحد، لا على التعاقب"، وهذا عكس الاستنتاج "لا يتم في زمان واحد" فبالحدس كل واحد فينا يعلم أنه موجود، لا يختلف حدس ديكرت كثيراً عن الحدس الذي عرفه القدماء وبه ندرك ثلاثة أشياء: الطبائع البسيطة والحقائق التي لا تقبل الشك، والعلاقات التي تربط الحقائق بعضها ببعض، وسماء ديكرت بالنور الطبيعي.

أما الفعل الثاني لليقين هو الاستنتاج فهو "حركة فكرية متصلة تدرك الأشياء واحداً بعد الآخر إدراكاً بديهياً" وهو سلسلة من الحدوس المتتابعة.

2. 2. قواعد المنهج الديكرتي

ومن خلال هذين الأساسين "الحدس والاستنتاج" وضع ديكرت أربع قواعد منهجية دقيقة: الأولى منها مستندة إلى مبدأ

شهدت الحضارة الأوروبية تطوراً هائلاً في شتى العلوم الطبيعية ويعود الفضل في ذلك للمنهج العلمي، الذي حقق تقدماً وهذا ما أثبتته العلم، أصبح بمقدور الإنسان التحكم في الطبيعة والتنبؤ بأحداثها وذلك باكتشاف القوانين العلمية التي تتميز بالموضوعية واليقين بفضل الوسائل المخترعة، في حين أن العلوم الإنسانية بقيت حكرًا على النظريات الفلسفية تخضع لأهواء الفلاسفة ونتاج لظروف العصر وأحداثه، أي تفتقر للموضوعية العلمية لهذا حاولت كل من هذه العلوم الإنسانية - علم النفس، علم الاجتماع، علم الأخلاق - اللحاق بالركب بتطبيق المنهج العلمي على هذه العلوم، وفعلاً تقدمت العلوم الإنسانية بفضلها، وتخلت عن معظم النظريات الفلسفية الذاتية والجوانب الأسطورية فيها، لكن سرعان ما ظهرت أزمة بداية القرن العشرين واكتشفها البعض من الفلاسفة أمثال هوسرل وتتمثل هذه الأزمة في طبيعة الظاهرة الإنسانية تختلف عن الظاهرة الطبيعية، فإذا كانت الظاهرة الطبيعية كما فالظاهرة الإنسانية كيف، كما أن الظاهرة الطبيعية يمكن التنبؤ بوقوعها فلها قانون ثابت، عكس الظاهرة الإنسانية لا يمكن التنبؤ بمجرها، ولتجاوزها يجب إعادة تأسيس الفلسفة والعلوم السائدة على أساس فلسفي، عن طريق التأملات الديكرتية، وإعادة إحيائها من جديد وتجاوز عيوبها لإقامة الفلسفة علماً كلياً أي الفينومولوجيا المتعالية أو الخالصة فهي تسعى إلى إبراز المبدأ الذي تستند إليه كل معرفة، وهذا المبدأ هو "الإنسية المتعالية" التي تهتد الأشياء مدلولاتها، بإتجاهها من خارج العالم إلى العالم، عن طريق التحويل الفينومولوجي المتعالي، فالفينومولوجيا تدرس الشروط القبلية للمعرفة، التي هي الأساس الذي تقوم عليه كل معرفة لاحقة على التجربة، والتي هي مبادئ متوفرة في "الإنسية المتعالية"، وتساعدها على إنشاء العلم، وإقامته على أسس وطيبة، ومما لاشك فيه أنه بدأ من "ديكرت" فاستعار منه منهجه في البحث، واعتمد على نقطة انطلاقه، أي على بديهته "أنا أفكر" "فأنا موجود".

ومن بين الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع دراستنا رسالة دكتوراه غير منشورة، بعنوان مفاهيم العقل الفينومولوجي نص إدmond هوسرل "تأملات ديكرتية" للباحث طيب بوعزة.

وعلى ضوء ما سبق جاءت إشكالية الدراسة على النحو التالي: ما الغاية من التأملات الديكرتية في إصلاح الفلسفة؟ وما تأثير تأملات ديكرت على فينومولوجيا هوسرل هل استطاع تجاوزه أم كان ديكرتياً؟

2. 2. تأملات ديكرت نموذج أصيل لإصلاح الفلسفة

إن الفينومولوجيا الناشئة قد تحولت من خلال دراسة "التأملات" التي كتبها ديكرت إلى نموذج جديد من نماذج

التأملات التي تستطيع وحدها أن تولد فلسفة من الفلسفات .
إن مضمون التأملات هي العودة إلى "أنا" الأفكار الخالصة وهذه
العودة تحصل بمنهج الشك.

المعروف أن "ديكارت" قد شك في كل شيء، ثم وجد يقينه في عبارته المشهورة: "أنا أفكر إذن أنا موجود" شك في وجود الأشياء المادية وكشف خداع الحواس وقال لا يمكنني أن أثق في من خدعني ولو مرة واحدة فتوجه لإثبات وجوده كذات مفكرة فتساءل عن الضمان التي يوفرها هذا الوجود لما كان مبنيا من أحكامنا على أفكار واضحة متميزة فأستنتج بذلك وجود الله ثم انتهى أخيرا إلى اليقين بوجود العالم الخارجي، إذن فالميتافيزيقا تمضي من الشك إلى اليقين، أو بالأحرى من حكم أول يقيني متضمن في الشك بالذات، ذلك أن اليقين هو وحده الذي يمكن أن يولد يقينا. (برهيه، 1983، صفحة 88)

إذن هناك ثلاث مراحل مرت بها فلسفة ديكارت: الأولى هي مرحلة الانتقال من الشك إلى اليقين، والثانية هي مرحلة الانتقال من النفس إلى الله، والثالثة هي مرحلة الهبوط من الله إلى العالم وهذا ما سنتناوله بالتفصيل.

المرحلة الأولى: من الشك إلى اليقين

فحص ديكارت في علوم زمانه فوجدها غير وافية بمقصوده، فحاول التجرد من الماضي، والشك في كل ما تلقاه من معرفة وجعل الشك منهجه قال: "ولاحظت وليست ملاحظتي هذه بنت اليوم -إنني تلقيت منذ سنواتي الأولى طائفة من الآراء الباطلة على أنها صحيحة ومن أجل ذلك حكمت بأنه يجب علي أن أقدم بجد مرة واحدة في العمر على تخليص نفسي من الآراء التي تلقيتها في الماضي، وأن أعاود البحث من أساسه إذا أردت إقامة شيء ثابت وراسخ في العلوم". (ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، 2009، صفحة 71)

فشك ديكارت هو وسيلة للوصول لليقين وهو شك منهجي ويختلف عن شك الريبين، الذين لا يشكون إلا للشك نفسه، قال ديكارت "لقد كانت غايتي أن أثق بصحة ما أعلم، وأن أبني علمي على الصخر، والصلصال لا على المتحرك من الرمال". (ديكارت، مقالة الطريقة، 2016، صفحة 36)

إذن نستنتج أن شك ديكارت شك مؤقت للبحث عن حقائق الأمور فإذا كان شك الريبين تنازلا عن حقوق الفكر، وإنكار للعقل، فإن شك ديكارت إيمان وعقل، فشكه طريقة بحث لا غير، فأبطل شهادة الحواس، ثم أبطل شهادة العقل نفسه، فقال أن العقل يخدعنا أحيانا. كما أنه افترض وجود شيطان ماهر يضلله دائما، بحيث لا يستطيع التمييز بين الأشياء، ولربما لم تكن اليقظة إلا استمرارا للحلم، إذن فلا بد من الشك في كل شيء. (سلامة، 2007، صفحة 49-50)

ولحماية النفس من هذا الشيطان الماهر حسب ديكارت يجب العزم على رفض كل قضية يخالجه الشك فيها.

الحدس، والثلاث الأخيرة مستندة إلى مبدأ الاستنتاج. (ديكارت، مقالة الطريقة، 2016، صفحة 23-25)

القاعدة الأولى: "البداية"

يقول فيها "ألا أقبل شيئا على أنه حق، ما لم أعرف يقينا أنه كذلك أي تجنب الحكم المسبق والذاتية إلا إذا تبين لعقلي في وضوح وتميز، وأن لا يكون موضع شك" (ديكارت، مقالة الطريقة، 2016، صفحة 23-25) ومعناها ألا نثق في شيء ما سواء كان فكرة أو رأيا أو معتقدا، حتى نحص ذهننا في كل الأفكار التي نمتلكها، وتبقى فقط الأفكار التي يسلم بها كل ذي عقل سليم. (فضل الله، 1996، صفحة 108-109)

القاعدة الثانية: "التحليل"

يجب أن تجزأ المشكلة إلى أجزاء بسيطة بحيث نحول القضايا الغامضة المبهمة إلى قضايا أبسط، ونبدأ من الإدراك البديهي لأبسط الأشياء كلها، ومنها نجتهد لنرقى بنفس الدرجات لمعرفة الأشياء.

فالكل لا نفهمه فهما حقيقيا واضحا إلا بتحليل العناصر المؤلف منها، فهذه قاعدة ديكارت الثانية وليست حكرًا على مسائل الجبر والهندسة فحسب، بل تنطبق على مسائل الحياة ومسائل ما بعد الطبيعة. فمثلا إذا أردنا معالجة قضية اجتماعية معقدة يجب ردها إلى العوامل البسيطة المؤثرة فيها وهكذا يتم التحليل والإحاطة بالظاهرة بنظرة واضحة. (ديكارت، مقالة الطريقة، 2016، صفحة 30)

القاعدة الثالثة: "التركيب"

يقول ديكارت: "أن أسير أفكاري بنظام، بادنا بأبسط الأمور وأسهلها معرفة كي أتدرج قليلا حتى أصل إلى معرفة أكثرها تركيبا، بل وأن أفرض ترتيبا بين الأمور التي لا يسبق بعضها الآخر بالطبع". (ديكارت، مقال عن المنهج، 1985، صفحة 143)

يؤكد هنا ديكارت على قاعدة مهمة وهي الترتيب والنظام لاتباعهما في معالجة كل المسائل لاستنتاج الأشياء بعضها من بعض ويعتبر ديكارت هذه القاعدة أهم قواعده بعد القاعدة الأولى.

القاعدة الرابعة: "الإحصاء أو الاستقراء العقلي"

والهدف من هذه القاعدة هي مراجعة عامة للمسائل الفرعية التي تشتمل عليها المسألة أي الإحاطة بجميع شروط تلك المسألة، يقول ديكارت في هذا الصدد: "أن أقوم في جميع الأحوال بإحصاءات تامة ومراجعات عامة تجعلني على ثقة من أنني لم أغفل شيئا". (ديكارت، مقال عن المنهج، 1985، صفحة 145)

3.2 مراحل تأملات فلسفة ديكارت

إن تأملات ديكارت باعتبارها نهجا كان يلجأ إليه لعرض نظراته الفلسفية، بل لها هدف خلافا لذلك ترسم النموذج الأصيل لنوع التأملات الضرورية لكل فيلسوف يبدأ عمله، تلك

العلّة من الوجود قدر ما في المعلول على الأقل، وأن الكائن الذي هو أكمل لا يمكن أن يخلقه كائن أقل كما لا منه. (ديكارت، مبادئ الفلسفة، 1975، صفحة 63)

واستهدى ديكارت لأدلة تثبت وجود الله، فيرى أنه لا يوجد فرق بين وجود الإنسان وبين أن يعان على الاستمرار في الوجود، وهذا يتبين عجز الإنسان عن منح نفسه الوجود والخلود أي أنه ليس صاحب الفعل الذي يعينه على استبقاء الوجود ويمنعه من الفناء، إذن يقول ديكارت ففكرة خالق لا متناه تنهني لوجودي الخاص ولا فرق عندئذ بين قولي: "أنا موجود" وقولي: "الله موجود".

وهنا ديكارت لا يعني بهذا الإثبات وحدة الوجود، فالله هو خالق لمخلوقاته لا متحد بها، ويتجلى حضور الله فينا من حاجتنا الدائمة إلى بلوغ الكمال، فأكتشف بدون أن يخرج عن نفسه، وجود موجود كامل، إذن فالمنهج الديكارتي يقوم على ضامن وهو الله. (ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، 2009، صفحة 22)

المعروف أن ديكارت رياضي، وأن المثل الأعلى للبداهة عنده هو البداهة الرياضية، فهو يميز بين الوجود الذهني والوجود الفعلي فيرى أن الحقائق الرياضية الهندسية لا علاقة لها بالعالم الخارجي، بمعنى أن التسليم بها عقليا لا يقتضي وجودها فعليا، (فضل الله، 1996، صفحة 133-134) وكذلك في الفكرة الواضحة التي تكون في الذهن عن الله، فيجد أن شأنها كشأن فكرة المثلث ومن ثم يعود إلى البرهنة التي قام بها في التأمل الثالث وينقلها إلى هذا المستوى الجديد، وصولاً إلى القول بأن هاتين القضيتين: "مجموع زوايا المثلث يساوي قائمتين" و "الله موجود" هما قضيتان متعادلتان في اليقين، إذن فوجود الله يعادل في اليقين أية حقيقة رياضية. (ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، 2009، صفحة 204)

المرحلة الثالثة: من الله إلى العالم

إلى الآن أثبت ديكارت حقيقتين: وجود الذات المفكرة و وجود الله فتفكيره دليل على وجوده وأيضا معرفته بوجود الله، يقول فلولا معرفتي بالله لبقيت في عزلة عن كل شيء، فوجود الله يضمن لي وجود العالم الخارجي، ويضمن لي كل علم وكل يقين، استنبط يقينه بوجود العالم الخارجي من يقينه بوجود الله. (ديكارت، مقالة الطريقة، 2016، صفحة 48)

توجه بحث ديكارت عن وجود الأشياء المادية باعتبارها موضوعا للهندسة أي أنه تصورهما تصورا متميزا جدا، والله قادر على إيجاد كل ما نتصوره، فمنذ أن تبينت قدرة الله اللامتناهية لا أستطيع أن أنكر أنه قد خلق أشياء أخرى كثيرة، بحيث لي مكان في العالم باعتباري جزءا من الموجودات كافة. (ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، 2009، صفحة 185)

ومن أدلته على وجود العالم الخارجي يقول أنه يكفي أنه يمكنني تصور شيء بدون شيء آخر، لكي أتيقن من أن الشئيين

فالشك عند ديكارت يمتد إلى جميع الأشياء الحسية، والعقلية، فشكه لم يكن إلا وسيلة، فهو يدعونا إلى إنكار ما تلقيناه من العلوم حتى يظهر لنا معيار اليقين، فإذا ما ظهر لنا هذا المعيار عدنا إلى العلوم، وأثبتناها واحدا واحدا، إننا لا نهدم الدار التي نسكنها إلا لنعيد بناءها من جديد على أساس ثابت الأركان. فالسؤال المطروح هنا هل هناك أساس ثابت يضمن لنا تشييد هذا البناء؟

الجواب هو نعم لقد استثنى ديكارت الفكر عن الشك فهو حقيقة لا ريب فيها في نظره فشك في كل شيء إلا في أنه يفكر، كما أننا لا نستطيع أن نفترض أننا غير موجودين حين نشك في حقيقة هذه الأشياء جميعا، وبالتالي لا يمكن منع أنفسنا من الاعتقاد بأن هذه النتيجة "أنا أفكر إذن أنا موجود" صحيحة، وهي أوثق معرفة. (ديكارت، مبادئ الفلسفة، 1975، صفحة 56)

وبالتالي الوجود أيضا لا يمكن الشك فيه، وجد ديكارت مبدء الأول، يجب أن نتذكر ما يحاول ديكارت فعله إنه يريد إنشاء فلسفة جديدة توفر أساسا لا يقبل الشك للعلوم. ما حققه حتى الآن هو مجرد مبدء أول وما يحتاج إليه هو تطوير فلسفة كاملة قائمة على المبدء الأول "أنا أفكر إذن أنا موجود"، يقوم ديكارت بذلك عن طريق إجراء نوع من التحليل للمبدء الأول نفسه. (George، 1949، صفحة 35) فشك ديكارت شك نافع، إذا ما استخدم بنظام وترتيب كان منهجا صادقا وسبيلا للحقيقة.

المرحلة الثانية: من النفس إلى الله

بعد إدراكه بوجوده وبأنه مفكر أي هذا الجوهر المفكر الذي أقر بوجوده وهو متميز عن البدن، انتقل لإثبات وجود الله قال ديكارت في تعريفه للجوهر: "إنه القائم بذاته أي ما لا يعتمد في وجوده على غيره" (ديكارت، مبادئ الفلسفة، 1975، صفحة 88) وواضح أن هذا التعريف لا ينطبق إلا على الله.

أقر ديكارت بوجود جوهرين: "العقل والمادة" الله إذن هو الجوهر بالمعنى المطلق، أما العقل والمادة فهما جوهران بالمعنى النسبي وتجاوزا لأنهما لا يعتمدان في وجودهما على شيء إلا الله. (العظم، 2012، صفحة 18)

فديكارت إذن يفرق بين الصفات التي لا توجد بذاتها أي تفتقر إلى غيرها وبين الأشياء القائمة بذاتها والمستقلة عن غيرها، وبين تمثل الوجود اللامتناهي أي الله، إذن فتوجه ديكارت الآن هو إثبات أن الله موجود دون أن نخرج عن دائرة الكوجيتو (أي إثبات النفس من الفكر). (ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، 2009، صفحة 20) يفرق ديكارت بين الله وبين أي موجود آخر ففي أي موضوع آخر يلزم أن نضرب بين ماهيته ووجوده أي الفكرة التي تكون في أذهاننا عنه وبين وجوده، أي كون هذه الفكرة متحققة في الخارج، أما في الله فالماهية والوجود متطابقان لا يمكن الفصل بينهما: إذ أن تصورنا لله من حيث أنه تصور لموجود مطلق كامل متضمن للوجود.

فهذا المبدء كان شائعا لدى المدرسين، وهو أنه ينبغي أن يكون في

والضروري عن هذه الأشياء، ولا يعني إنكار وجود العالم الخارجي "ولا إثباته" بل نضعه جانبا ونضرب عنه صفحا، وبهذه الطريقة يتمكن المرء من بلوغ الموقف الفلسفي القويم.

أما المبدأ الثاني فإيجابي وهو الحدس المباشر لإدراك الأشياء أي الظواهر التي نراها على شكل ماهيات، يقصد هوسرل من الحدس في الفنونولوجيا هو حدس الماهيات الذي بإمكانه أن يكون المنبع الأول لكل يقين، (مصطفى، 2007، صفحة 206)

فالماهيات هي الأمور المعقولة بوصفها معطاة للفكر، وهي نوعان ماهيات عامة ومادية، فالماهيات العامة تتمثل في ماهية الإدراك، ماهية التصور، ماهية العدد، ماهية الحقيقة ثم القواعد التي تحدد علائقتها، مثل قواعد البرهان، أما الماهيات المادية مثل "ماهية الصوت، ماهية اللون، والعلاقات بينها وبين غيرها من الأمور المادية، مثل العلاقة بين الضوء والامتداد، فهذه الماهيات هي تركيبات للدلالة أو المعنى، تتألف منها الحقيقة المعقولة لمعطيات التجربة. (كامل، 1993، صفحة 165.166)

لفهم الفنونولوجيا كعلم حاول هوسرل صياغتها لمنهج للعلوم الإنسانية يتكون من ثلاث خطوات: تعليق الحكم، والبناء والإيضاح، ومن خلال هذه الخطوات سنتعرف عن العلاقة القائمة بين الكوجيتو الديكارتية وهوسرل أي ما أخذه هوسرل عن ديكارت وما أضافه وأختلف عنه.

3. 1. خطوات المنهج الفنونولوجي لهوسرل

الفنونولوجيا أقرب إلى الفلسفة منها إلى المنهج وتم صياغتها في منهج في الجزء الثالث من "الأفكار" لدراسة العلوم الإنسانية ويتكون من ثلاث خطوات: تعليق الحكم، البناء والإيضاح

تعليق الحكم

يعني عند هوسرل وضع العالم بين قوسين أي القضاء على الاتجاه الطبيعي وإخراجه من موضع الإهتمام، وعدم إصدار الحكم عليه ويفرق بين علم الماهيات وعلم الوقائع، وهنا يظهر لنا أوجه الشبه بين "تعليق الحكم" عند هوسرل والشك عند ديكارت فكلاهما خطوة منهجية للقضاء على الأحكام السابقة والمعتقدات والأوهام. وقيامه بهذا الإجراء لا يعني أنه ينفي العالم وكأنه سفسطائي أو يشك في وجوده كما يفعل الشكاك، وإنما يقوم بالرفع الظاهرياتي لكي يتخلص من أي حكم في الوجود المكاني والزمني، كما أنه يعزل كل العلوم المتعلقة بهذا العالم الطبيعي حتى وإن بدت له ثابتة وتضاءل اعتراضه عليها فيتخلى بإطلاق عن إستعمال أي من صلاحياتها.

فلا يتبنى أي قضية من القضايا المنتسبة إلى هذه العلوم في العالم حتى ولو كانت تامة البدايات، إلا بعد وسماها بـ"الوضع بين قوسين"، وبالتالي لا يقبل أي قضية في العلم تدعي الصحة، فكل النظريات والعلوم التي تتعلق بهذا العالم مهما كانت جيدة التأسيس الوضعاني وجب وضعة بين هلالين. (هوسرل ا، 2011)

مختلفين في الواقع، لأنه ممكن أن يكونا موجودين على انفراد بقدرة الله الواسعة، ويستدل أيضا بعلاقة النفس بالجسم ويفرق بينهما ففكرته عن النفس واضحة جدا وهي شيء مفكر لا ممتد، على عكس الجسم فهو شيء ممتد إذن فالإينية المفكرة والجسم شيان متميزان مادام يمكن تصور أحدهما متميزا عن الآخر، فهناك قوة فاعلة تبعث فيها الأفكار عن الأشياء الحسية تدفع القوة المنفعلة في ذاتها للقيام بمهمتها وهذه القوة الفاعلة هي خارجة عن الذات، إذن استنتج بقوله "قاله الخالق لوجودي أعطاني ميلا قويا إلى الاعتقاد بأن هذه الأفكار صادرة من الأشياء الجسمانية، وبالتالي فهذه الأشياء موجودة في الواقع. (ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، 2009، صفحة 231-232)

فسلم بوجود العالم الخارجي وهو متناسق ومتكامل إذا ما نظرنا إلى جميع المخلوقات لا إلى بعضها، ذلك لأنه إذا كانت بعض أجزائه تبدو لنا ناقصة والأجزاء الأخرى خالية من النقص يكون أعظم كمالاتها لو كانت جميع أجزائه متشابهة، فجدير بنا كما يقول "ديكارت" أن نحمد الله على أنه لا يضعنا في مرتبة أكمل الأشياء لأنه جعل في مقدورنا وسيلة لتجنب الخطأ، وهي القدرة على التوقف عن الحكم على الأشياء التي لا نعرفها في وضوح، فكل معرفة واضحة ومتميزة هي شيء ما، فهي ليست من العدم إنما الله خالقها، وبالتالي هي صحيحة، فمن واجبنا كما يقول ديكارت أن نفصل بين الأشياء التي لا نتصورها إلا في غموض وبين الأشياء التي نتصورها تصورا كاملا، وأن لا نطلق حكما أبدا إلا على ما كان تصوره تام الوضوح، فهي الوسيلة في التحرر من الخطأ على الدوام وفي أن نصل في الوقت نفسه إلى الحقيقة. (ديكارت، التأملات في الفلسفة الأولى، 2009، صفحة 184-185)

3. فنونولوجيا هوسرل

لجعل الفلسفة علما دقيقا كالرياضيات يذهب هوسرل للبحث عن المعاني والماهيات الخالصة، وهي غير موجودة في العالم المحسوس بل في الشعور الخالص المطلق، لأن التجربة الحسية لا تعطينا اليقين الذي يستبعد الشك في وجود العالم الحسي، وهنا تظهر لنا الروح الديكارتية واضحة كل الوضوح، والواقع أن فلسفة هوسرل عودة إلى ديكارت، عن طريق كانط، فمنهج "الفنونولوجيا" لهوسرل يقوم على قاعدة أساسية وهي التوجه للأشياء ذاتها، دون التأثير بنظرية سبق تصورها عن الواقع، (كامل، 1993، صفحة 163) وذلك بالاعتماد على مبدأين: مبدأ سلمي ويتمثل في "الإبوخية" Epoche "التعليق" ويتمثل في رفض كل ما لا يمكن التحقق منه أو البرهنة عليه، كما يطلق عليه هوسرل وضع الآراء والمعتقدات والأحكام بين قوسين، ويشمل كل ما في العالم حتى ذات الفيلسوف.

والإبوخية هو قلب المنهج الفنونولوجي، فالذي يبقى لنا بعد أطراح كل الفروض المسبقة عن الأشياء هو وحده اليقيني

البناء

فبعد تعليق الحكم على العالم تبقى المهمة المطروحة على الفلسفة الفنونولوجية هي تفسير كيف يتوصل الوعي إلى الاعتقاد بوجود موضوعات متعالية عليه، أي كيف ينسب وجوداً قائماً بذاته للموضوعات في العالم، عندما يتخطى الوعي العطاء الأصلي الذاتي النسبي، بحيث يؤسس كيان العالم مع مجالات موضوعاته المتميزة. وهذا ما يسميه هوسرل البناء.

هكذا تتحول المهمة الأساسية لبحث العلاقات في الفنونولوجيا الترنسندنتالية إلى تحليل بناء مختلف مجالات الموضوعات. يرتبط كل تحليل من تحليلات البناء بمجال محدد من الموضوعات، فإنه يتم الاعتقاد بنوع محدد من الموجودات تنتمي لها موضوعات معينة، فمثلاً موضوعات الإدراك، الأعداد القيم الأخلاقية، الدلالات اللغوية... يتم التوصل إلى بنيات هذه الماهيات عن طريق الإرجاع الماهوي. (هوسرل، أ. أزمة العلوم الأوروبية والفنونولوجيا الترنسندنتالية، 2008، صفحة 23، 24)

والبناء هو تطبيق قواعد المنهج الأربع عند ديكارت أما هوسرل فيظهر الشعور كقصد متبادل مكون من قالب "نويز" ومضمون "نويم" الأول يمثل الجانب النظري أو العقل في الأنا الخالصة، والثاني يمثل الموضوع وهو الذي جعله ديكارت حركة وامتداد، وهو مضمون الشعور عند هوسرل ليقضي على الاتجاه الطبيعي فهو مستقل عن الذات العارفة، فالشعور إذن هو ذات وموضوع معا. (حنفي، 1990، صفحة 257)

الإيضاح

تعني توضيح الصلة بين الفنونولوجيا والانطولوجيا، وأيضا الصلة بين الفنونولوجيا وعلم النفس، وذلك لوجود ثلاث مناطق متداخلة: النفس، والشيء موضوع الانطولوجيا، والفنونولوجيا علم لمنطقة الشعور الخالص. فهو منهج للتمييز بين الواقع وبين اللاواقعي، وفيه ترد المعطيات في الشعور العادي إلى ظواهر متعالية في الشعور الخالص. (حنفي، 1990، صفحة 255-258)

فالإيضاح هو الذي يسمح بحدس الماهيات، فلا حدس دون وضوح، فهو الحل النهائي لأزمة العلوم الإنسانية التي تقوم على الخلط بين المستويات أو على المزج بينهما، أو على رد أحدهما على الآخر، فالإيضاح إذن هو نظرية في الوجود يقوم على حفظ المستويات ثم على الربط بينها ربطاً صحيحاً مستعملاً مفاهيم جديدة للربط، ويقوم أيضاً بالتخلي عن الألفاظ القديمة ووضع الفاظ جديدة وذلك للقضاء على صوريات المثال وتحويلها إلى ترنسندنتالي، فمهمة الإيضاح هي الكشف عن الوحدة الباطنة في الوجود وحدة المعرفة والوجود في الفنونولوجيا، وحدة الذات والموضوع في الكوجيتو. (حنفي، 1990، صفحة 258، 260)

إذن فالفنونولوجيا الترنسندنتالية هي عودة لمنهج ديكارت وذلك بالبداية في التفكير الفلسفي بدءاً جذرياً جديداً، وخاصة

التأمل الأول والثاني من تأملاته في الفلسفة الأولى وهذا يعني أن هوسرل يتخلى عن معظم التأملات الميتافيزيقية وأحكامها، فيأخذ منهما حقيقتين هما الشك الذي يتأوله هوسرل على أنه إيجابية ومركب ويفهمه على أنه ذاتية ترنسندنتالية، فهما حقيقتان تكشفان عظمة منهج ديكارت، ولكنهما في نفس الوقت تفضحان صغاره. (الزراعي، 2010، صفحة 84-85)

فلجوء ديكارت إلى تمثل الله كأحد تمثلاتنا الفطرية بغية البرهان على وجود العالم، فهذا اللجوء لا فنونولوجي وبالتالي فهذه الفكرة تتنافى والمبدأ الديكارتي ذاته. (خوري، 1984، صفحة 202)

3.2. الموقف الفنونولوجي عند هوسرل لتأملات ديكارت

إلى جانب أوجه التشابه والتأثير الديكارتي على هوسرل توجد أوجه اختلاف كثيرة، فالشك الديكارتي رغم تشابهه الظاهري مع تعليق الحكم إلا أنهما يختلفان في عديد من الأمور، فالشك الديكارتي مظهر سلبي يرفض فيه ديكارت تماماً ومؤقتاً كل المعارف العالم الممكنة، ويبتعد عن قيود العالم الحسي، للوصول للحقيقة اليقينية الأولى داخل الذات المفكرة، أما الرد الفنونولوجي عند هوسرل فيتوقف مؤقتاً عن الحكم على العالم، وذلك لحين دراسة ماهيات هذا العالم الكامنة في الشعور وأفعاله القصديّة، أي أن صلة الإنسان بالعالم الخارجي لا تنقطع تماماً، فالعالم قائم في الشعور ولا يمكن الشك في حقيقته مثلما فعل ديكارت سابقاً.

بالإضافة إلى ذلك فإن الأنا أفكر عند هوسرل يختلف كثيراً عما كان عليه الحال عند ديكارت، (محمد، 1991، صفحة 34) فهو هوسرل لا يسلم بوجود ذات فارغة يكون لسان حالها ما قاله ديكارت: أنا أفكر، بل يتبع الفكر بموضوعه القصدي فيقول: إنني أفكر في موضوع متعلق يكون مثله كمثل واقعة الفكر نفسها، وتبعاً لذلك فإن هوسرل يعد وقائع الفكر حقائق مباشرة يتعلّلها الفكر حين يتعلّل ذاته. (إبراهيم، 336 صفحة) أي أن ديكارت يرى الأنا المفكر cogito ولم ير موضوع الفكر cogitatum أي هناك وحدة بين الوعي المتأمل والوعي المتأمل على قول هوسرل "إن كل وعي هو وعي بشئ ما" وهذا ما اصطلح عليه هوسرل: قصديّة الشعور (سارتر، 2005، صفحة 59-60)

فالشعور له خاصية أساسية هي الاتجاه دائماً نحو ادراك الأشياء المواجهة له، فالتعديل الذي أجراه هوسرل على الكوجيتو الديكارتي يضيف على الأنا إمكانات خصبة تجعله يتحول إلى أنا متعال تتأسس عليه المعرفة بمبادئ يقينية فيصبح "أنا أفكر في شيء ما، إذن أنا موجود" وانتقد "هوسرل" أيضاً "ديكارت" في ثنائية هذا الأخير النفس والبدن والتمييز بينهما فالنفس مكانها الفكر وتتصف بالخلود، والبدن مكانه الواقع المادي ومصيره الفناء، وهذه الثنائية سببت مأساة العصر الحديث ونتج تياران اتجاه العقلي والاتجاه التجريبي وبالتالي خلقت أزمة الشعور الأوروبي.

بها ويجربها ويفكرها وغير ذلك. (هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفنومولوجيا الترنسندنالتية، 2008، صفحة 503-504) فيجب توسيع مضمون ل "أنا أفكر" المتعالي، وأن نضيف إليه عنصرا جديدا، فكل "أنا أفكر"، أو كل حالة من حالات الشعور أيضا، "تقصّد" إلى شيء من الأشياء، وأنها تحمل في ذاتها بما هي شيء "مقصود" موضوعها "المفكر به" *cogitatum* المقابل لها.

فكل حالة شعورية بصفة عامة، هي في ذاتها شعور بشيء من الأشياء. (هوسرل، إ.، تأملات ديكارتية أو المدخل إلى الفينومينولوجيا، 1958، صفحة 102)

3.3. الكوجيتوفنومولوجيا

إن اقتراح هوسرل تعديلات جديدة صار بمقتضاها الكوجيتو الديكارتية نواة فعلية لذاتية ترنسندنالتية، مما جعل من الكوجيتو الفنومولوجي هوسرل ممكنا و ينحصر في التأملين والثاني من تأملات ديكارت لاستيعابه لكل الأحكام الميتافيزيقية، ويتفق معه في العودة إلى الذات : "إن من يريد أن يصبح فيلسوفا بحق عليه أن يسعى في المقام الأول إلى الانثناء إلى ذاته والعودة إليها مرة في حياته، وأن يحاول قلب جميع العلوم المقبولة حتى الآن من داخل ذاته" (هوسرل، إ.، تأملات ديكارتية أو المدخل إلى الفينومينولوجيا، 1958، صفحة 43)

فالبدايات الأصلية لا تتأسس إلا بالفلسفة وفيها، ولذلك فإن بداية الفلسفة تكون مستنبطة لأساسين : أساسها وأساس العلم، (الزراعي، 2010، صفحة 84-87) فالأنا أفكر أضحت مسلمة من مسلمات كل مثالية فلسفية حقيقية، فمع ديكارت حولت الفلسفة منظورها كليا فعادت جذريا عن نزعة موضوعية ساذجة إلى نزعة ذاتية ترنسندنالتية (هوسرل، تأملات ديكارتية أو المدخل إلى الفينومينولوجيا، 1958، صفحة 48) فهي نموذج فلسفة جديد كما يقول هوسرل.

فاستعادة ديكارت فنومولوجيا هي نتاج لوحدة في المنطلق والهدف تجمع بينه وبين هوسرل، فمع ديكارت تظهر راهنية فنومولوجية وذلك من خلال موقفه من تعدد حقائق فلسفات العصر والوضع الذي قاد إليه ذلك التعدد من مناهج غير منسقة ونتائج غير يقينية.

إن تعدد الفلسفات ومناهجها يحجب الفلسفة، فهي تحتاج لرباط داخلي يوحداه ويضمن سلامة نتائجها، فهذا الوضع هو منطلق ديكارت نفس الراهن الذي واجهه هوسرل، لهذا هوسرل يستعيد الأساس الذي أقامه ديكارت صرحا للفلسفة، ويتأوله ذاتا ترنسندنالتية، فالعودة إلى "الأنا أفكر" مهدا أخيرا و يقينيا ينبغي أن تقام عليه كل فلسفة راديكالية، فليس المطلوب هاهنا سوى معاودة استنطاق ذلك اليقين من جديد لكشف خفاياه الأبدية التي لم يكشفها ديكارت، ولم يسايرها إلى نهايتها. فكان الأمر قد بات متصلا بتعميق البحث من جديد في ذلك اليقين بروح أعمق من روح ديكارت. وعلى الحقيقة، فإن حد فضل ديكارت في خصوص استكمال البحث

كما أن الكوجيتو الديكارتية ينقصه البعد الترנסندنالتية، لأنه حسب هوسرل ظل في دائرة علم النفس فهو نسبي إذا، لأنه ليس بمبدأ *axiome* يقيني، وبالتالي لا يمكن القضاء على الشك نهائيا فيما يتعلق بوجود العالم أو الموضوعية التي ربطها ديكارت بالصدق الإلهي، لهذا فالفنومولوجيا هي تأكيد للطابع الشمولي للأنا، وأيضا ما ينقص الكوجيتو الديكارتية الآخر كطرف مقابل للشعور، وجعل ديكارت تصوره لله كآخر مطلق وضامن لليقين. (حنفي، 1990، صفحة 265)

فهدف هوسرل من الفنومولوجيا اكتشاف الماهيات الحية من خلال قصدية الشعور، بحيث تتأسس المعرفة اليقينية التي تقوم عليها مختلف العلوم الممكنة، في منظومة كلية واحدة، أي أن الفنومولوجيا تريد للفلسفة أن تصبح علما دقيقا محكما، فهي بذلك تعود إلى عالم "الأشياء" لتعقله وإدراكه واستشعاره دون وضع أو تقديم تفسيرات وفروض كالعلوم الطبيعية، ويجب أن تتخلى عن كل نظرية تجريبية لتقتصر الدراسة الوصفية البحتة لوقائع الفكر والمعرفة، على نحو ما نحياها في صميم وعينا، ومعنى هذا أن تتجرد الفنومولوجيا من أي نقطة انطلاق لها من نظريات سابقة، بل يجب البحث من جديد عن "فلسفة أولى" تكون هي "علم البدايات" على حد تعبير هوسرل نفسه. (أنور، 1994، صفحة 31.30)

بمعنى أن محاولة هوسرل جادة في جعل الفنومولوجيا تبحث عن "فلسفة أولى" مميزة.

ومن أجل تأسيس فلسفة شاملة مطلقة بالنسبة لكل كائن، وجب التحرر من الأحكام المسبقة كما فعل ديكارت وكانط وهيجل، فالأزمة اللاحقة بقي المبدأ نفسه لبلوغ الحقيقة ألا وهو تأملات متجهة نحو الذات المطلقة. (هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفنومولوجيا الترنسندنالتية، 2008، صفحة 482) ذاتية الوعي منها التي يستمد العالم قبل العلمي، بأسلوب موضوعي مضمونه وصلاحيته - هذا العالم بكل موجوداته - يمنع العلم الوضعي المزدهر تأسيسه الذاتي الترנסندنالتية، أي يمنحه معناه الفلسفي الحقيقي.

إذن فالفلسفة الترנסندنالتية هي التأسيس الحقيقي للموضوعية لمعناها وصلاحيته ليست فقط تأويلا لاحقا أي نابعة من الذات. (هوسرل، أزمة العلوم الأوروبية والفنومولوجيا الترنسندنالتية، 2008، صفحة 486)

كما يتم إرجاع كل الموضوعات الأخرى في العالم التي هي معطى خارجي فهي ظواهر بالمعنى الفنومولوجي، كما ينبغي على السيكلوجي أن يجعل من ذاته ظاهرة، أي عند الانعكاس على ذاته، وهنا يجب مراعاة ما يلي:

تحرر النظر للذات الأتوية الخالصة لتتشكل حياة الأنا وذلك بفضل الإيبوخي الفنومولوجي، لأنه يتأثر بوصفه أنا (ego) بموضوعات القصدية، ويمارس أفعال التفكير (*cogitationes*) بالمعنى الدقيق، وتوجه نحو الموضوعات القصدية وينشغل

خطأ بأنه اتخذ مثالا أعلى علميا هو المثال الهندسي، الذي يقوم على أساس من البديهيات يكون قاعدة مطلقة وأخذها أساس ومنطلق للتفكير الفلسفي.

فالفيلسوف يجب ألا يقبل أي مثال أعلى من العلم المعياري على أنه ذي قيمة ، لأبد من البحث عن نقطة ابتداء لكل فيلسوف، ووضع العالم بين قوسين لا يعني الانقطاع عن العالم الخارجي كما فعل ديكارت، فالعالم قائم في الشعور ولا يمكن الشك في حقيقته.

إن أهم فكرة شددت هوسرل نحو ديكارت والتي وجد فيها إرادة هذا الأخير في تحقيق فكرة الفلسفة الأولى، بماهي علم كلي يقيني، تهدف لإصلاح الفلسفة وكل العلوم بماهي فروع لها. إتفاق كل من ديكارت وهوسرل على أن الذات هي مصدر كل علم يقيني وأول.

وهنا نجد أن هوسرل ديكارتيًا في بعض التأملات، وذلك باتخاذها للبعد الترنسندنتالي للفنومولوجيا، فمهمة الفنومولوجيا مهمة إصلاحية، إن لم تبشر بعالم جديد فعلى الأقل تحل أزمة العلوم الإنسانية، لاستقلالها عن العلوم الرياضية والعلوم الطبيعية على السواء، فالظاهرة الإنسانية تجربة حية لا هي صورة عقلية ولا مادة تجريبية، لهذا فالفنومولوجيا هي دعوة للحياة دعوة مثالية من نوع جديد، مثالية الشعور، التي لا يمكن وضعها في نطاق العقل ولا المادة.

إن النزعة الترنسندنتالية التي يقترحها هوسرل مرادفاً للفلسفة وللفنومولوجيا لم تكن مجرد تفكير في أسس فلسفة أبدية، أو مجرد معاودة للخصومة التاريخية بين المثالية والواقعية. إن هوسرل يعيد طرح المسألة المثالية لمعاودة إثارة السؤال عن أساس الحقيقة وفي عصر تعددت فيه الأنساق واختلقت وتعارضت، وأضحى فيه النسق لا البدايات معيار الحقيقة. فهو لا يذكر بأمر العودة إلى الأشياء والمشكلات ذاتها إلا لأنه يفهم تلك العودة فهما مخصوصا ، أي فهما لا وضعيا تكون بمقتضاه تلك العودة رجوعا إلى أصل أو أساس بديهي ومطلق.

تضارب المصالح

يعلن المؤلف أنه ليس لديه تضارب في المصالح

قائمة المصادر والمراجع

1. إدموند هوسرل. (1958). تأملات ديكارتية أو المدخل إلى الفينومينولوجيا. (تيسير شيخ الأرض، المترجمون) بيروت: دار بيروت للطباعة والنشر.
2. إدموند هوسرل. (2008). أزمة العلوم الأوروبية والفنومولوجيا الترنسندنتالية (المجلد ط 1). (إسماعيل المصدق، المترجمون) بيروت: المنظمة العربية للترجمة.
3. إدموند هوسرل. (2011). أفكار مهيأة لعلم الظاهريات الخالص والفلسفة الظاهريات (المجلد ط 1). (أبو يعرب الرزوقي، المترجمون) بيروت: جداول للنشر والتوزيع.
4. إميل برهيه. (1983). تاريخ الفلسفة (المجلد ط 2). (جورج طرابيشي، المترجمون) بيروت: دار الطليعة.
5. انطوان خوري. (1984). مدخل إلى الفلسفة الظاهراتية (المجلد ط 1). بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.

في ما يلزم عن ذلك اليقين قد ضبط منذ التأمل الثاني من تأملات الفلسفة الأولى، وذلك بإثبات أن أفعال التفكير من رغبة وإحساس وإثبات ونفي وتصور وحب وإرادة تعد كلها محمولات ليقين الأنا أفكر، فليست تلك لأفعال إلا أفعالي أو أفعال مضامين تفكيرية لأفعال تفكيري . إنني موجود، إذن فإن تلك الأفعال توجد، (الزراعي، 2010، صفحة 88-89) أي أنها موجودة في الشعور الداخلي، حيث ترتد كل حقائق الوجود إلى هذه الماهيات وتتأسس المعرفة اليقينية التي تقوم عليها مختلف العلوم الممكنة، في منظومة كلية واحدة.

4. الفنومولوجيا كاستكشاف للكوجيتو

افتراض هوسرل لمفاهيم هامة من ديكارت لا يعني أنه ديكارتيًا، بل له تميزه وخصوصيته حتى في البناء الدلالي لتلك المفاهيم المستعارة، فضلا عن التوظيف المنهجي الذي أعطاه لها، هوسرل بلا شك ديكارتي باستحضاره للكوجيتو، لكنه هوسرلي في كيفية طرقه للكوجيتو ونوع التوظيف المنهجي الذي منحه إياه، ونوع المكانة التي رفع إليها هذا الأنا الترنسندنتالي فجعله من جهة أساسا للعلم، ومن جهة أخرى مجالا للاستكشاف.

يقر طيب بوعزة بأن الجمع بين ديكارت وكانط عند هوسرل أكبر خطرا من أن ننظر إليه على أنه مجرد جمع لمفاهيم أو استثمار لفلسفتين، إنه بالأحرى جمع بين مآزقين، فهو سرل في نظره اكتشف مآزق الأنا وحدية الديكارتية، ثم أضاف إليه المآزق الترنسندنتالي الكانطي أيضا، فنتجت هذا الجمع الفريد فلسفة نوعية في سمتها متميزة في مآزقها.

وإن بيان ذلك في تقدير الطيب بوعزة هو أفضل تعريف ممكن للفينومولوجيا، (بوعزة، 2001-2002، صفحة 6) فخطأ ديكارت حسب هوسرل هو أنه اكتشف ولم يستكشف، أي اكتشف الكوجيتو ولم يعلم أنه مجال واسع جدا يحتوي كل شيء، أي مجال جدير به أن يستكشف ويقام بداخله، وهذا هو سبب الإفقار الدلالي الذي تميز به الكوجيتو الديكارتية، حسب هوسرل هذا هو جوهر النقد للمشروع الديكارتية فقال عنه: "إن الاكتشاف والإهمال هما عند ديكارت عملية واحدة" أي أن ديكارت عندما اكتشف الكوجيتو كان في نفس الوقت يرحل عنه، وبناء على هذا النقد الهوسرلي لديكارت يستنتج طيب بوعزة تعريف الفينومولوجيا مقتصرًا دلالتها "بأنها- في مختلف مستوياتها كفلسفة متعالية- مجرد استكشاف للكوجيتو". (بوعزة، 2001-2002، صفحة 7)

5. خاتمة

من خلال ما تقدم من تحليل نستنتج أن الفنومولوجيا تحولت عن طريق التأملات التي كتبها ديكارت إلى نموذج جديد من نماذج الفلسفة الترنسندنتالية، ويصح القول أن ندعوها ديكارتية جديدة، فديكارت له الفضل بالقيام بإصلاح الفلسفة إصلاحا كليًا، وبالتالي إصلاح جميع العلوم لأنها أعضاء للعلم الكلي "الفلسفة"، إلا أن ديكارت حسب هوسرل وقع في

6. جان بول سارتر. (2005). تعالي أنا موجود. (حسن حنفي، المترجمون) بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.
7. جلال العظم. (2012). دراسات في الفلسفة الغربية الحديثة (المجلد ط 1). لبنان: جداول للنشر والتوزيع.
8. حسن حنفي. (1990). في الفكر الغربي المعاصر. بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.
9. روني ديكارت. (1975). ميادئ الفلسفة. (عثمان أمين، المترجمون) القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر.
10. روني ديكارت. (1985). مقال عن المنهج (المجلد ط 3). (محمود محمد الخضير، المترجمون) الهيئة المصرية للكتاب.
11. روني ديكارت. (2009). التأملات في الفلسفة الأولى. (عثمان أمين، المترجمون) القاهرة: المركز القومي للترجمة.
12. روني ديكارت. (2016). مقالة الطريقة (المجلد ط 3). بيروت: المكتبة الشريفة.
13. زكريا إبراهيم. (بلا تاريخ). دراسات في الفلسفة المعاصرة. دار مصر للطباعة.
14. سماح رافع محمد. (1991). الفنونولوجيا عند هوسرل (المجلد ط 1). بغداد: دار الشؤون الثقافية العامة.
15. طيب بوعزة. (2001-2002). مفاهيم العقل الفنونولوجي نص إدموند هوسرل "تأملات ديكارتيّة". جامعة محمد الخامس.
16. عادل مصطفى. (2007). فهم الفهم مدخل إلى الهرمينوطيقا (المجلد ط 1). القاهرة: رؤساء للنشر والتوزيع.
17. علا مصطفى أنور. (1994). علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية دراسة في فلسفة ميرلوبونتي. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع.
18. فؤاد كامل. (1993). أعلام الفكر الفلسفي المعاصر (المجلد ط 1). بيروت: دار الجيل.
19. محمد محسن الزراعي. (2010). الفنونولوجيا والمسألة المثالية/ إدموند هوسرل (المجلد ط 1). بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.
20. مهدي فضل الله. (1996). فلسفة ديكارت ومنهجه (المجلد ط 3). بيروت: دار الطليعة.
21. يوسف سليم سلامة. (2007). الفنونولوجيا المنطق عند هوسرل. بيروت: دار التنوير للطباعة والنشر.
22. George, J. (1949). a guide to Merleau-Ponty's phenomenology of perception. marquette university press.

ـ كيفية الإستشهاد بهذا المقال حسب أسلوب APA

حليمّة عطاء الله، مبروك طحطاح (2024)، التأملات في الفلسفة الأولى بين ديكارت وهوسرل، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، المجلد 16، العدد 02، جامعة حسيبة بن بوعلي بالشلف، الجزائر، ص: 111-119